سيرة المنفى.. الأمكنة التي فقدناها

شاكر الأنباري

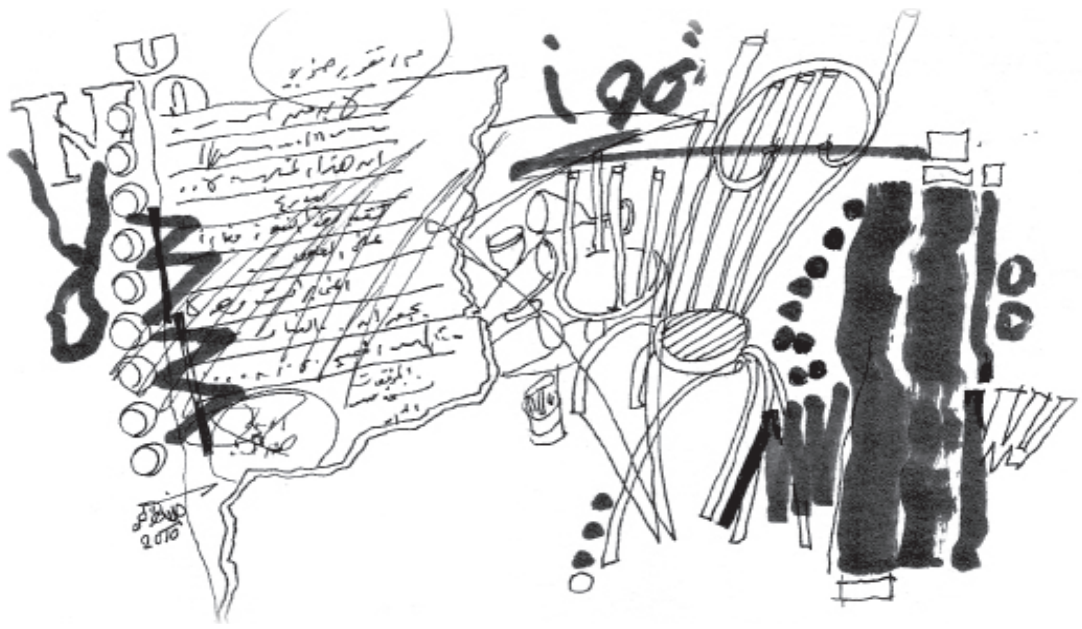

١-٢

كانت هناك قريتان مثل ظل بعيد، في تلك اللحظات التي عدت فيها إلى الوطن في سنة ألفين وثلاثة، إحداهما في رأسي والأخرى على أرض الواقع. تلك التي كانت في رأسي ظلت شابة لم تشخ منذ أن غادرت العراق في عام ١٩٨٢ وهي ذات ملامح واضحة. مكانها طازج، ويمتلك تفاصيل أعرفها جيداً. أعرف الناس والأشجار والحشائش والأسماء وقصص العشق التي دارت منذ قرن، أيام ما كانت النكات والحكايات والمقالب مدار تسلية للفلاحين في ليالي القرى المظلمة.

تلك قرية كانت مصنوعة من بساطة، وتسامح، وجهل، وحكايات، وبحث عن حياة أفضل، وتوق إلى ارتياد المجهول واحترام الثقافة والعلم والوجاهة. وهي على نحو ما، قرية نموذجية لقرى الفرات الغربية، بكل ما هو معروف عنها من انتماءات عشائرية وأساطير.

كانت القرية تلك، واسمها الحامضية، قرية لبكورة الحياة وهي تتفتح وتتخلص من العصور المظلمة. حملتها في رأسي وأنا اخترق الجبال، وأجتاز حدودا، وأسير في شوارع باردة، وأسير بين أشجار سنط ثلجية. ورأيتها في أحلام يقظتي حين عاقرت خمرة، وعانقت نساء، وركبت قطارات.

القرية التي عدت إليها وجدتها قرية أخرى، لا تشبه تلك الحامضية التي سامرتها وناجيتها خلال تجوالاتي الطويلة في بلدان العالم. لقد تغيرت الوجوه التي كنت أتذكرها طوال كل تلك السنين، وشاخت بساتين النخيل وتهدمت البيوت المعاصرة لطفولتنا. وقفت أمام أشجار أخرى ونباتات جديدة وبشر آخرين. نعم يمتلكون الأسماء ذاتها، لكنهم يختلفون عن أولئك الذين أدمنتهم في خيالي بين سرو أوروبا وعلى صقيع ثلجها. يمكن القول إنني كنت أعاقر سراباً أو شبحاً لمكان، وهذه لفتة روائية أفكر بها دائما، أي الفرق بين الموجود في الرأس وذاك المتحرك على سطح الحياة.

الموجود في الرأس يتعمد بروح الفن، بطاقة الخيال غير المحدودة، وهذا ما يقربه من الخلود. الأمكنة على ما يبدو تشيخ هي الأخرى، وتتبدل، ويتغير هواؤها، وتصبح ذكرياتها في النسيج ذكريات بشر آخرين. كل تلك التبدلات، وتلك المفارقات، لم تدخل حتى اللحظة مصهر الكتابة الإبداعية، كوني كتبت قصصي ورواياتي عن تلك القرية والمدينة، بل والعراق كله الذي كان في رأسي، أي كتبت عن وهم خالص، وهو في الوقت ذاته، وهم المنفيين، والمغتربين، والمشردين، والصعاليك، ومتمرسي الهجرات بين الصحارى والبحار والبلدان. بلدان الأزمات، خاصة، يسري عليها هذا القانون الطبيعي والبشري أكثر من البلدان المستقرة. الزمن يفعل فعله على أية حال لكن النتائج تختلف، وان كانت في تفاصيل صغيرة. حين طرقت باب بيتنا، خرجت زوجة أخي التي لم أرها سابقاً، لكنها رأتني على ما يبدو في صور العائلة. كنت ألبس بنطلوناً من الجينز وكنزة صيفية، تقف ورائي زوجتي ببنطالها وقميصها المشجر وقصة شعرها الدمشقية، فنظرت زوجة أخي إلينا وأحسست بأنها كمن رأت كائنين هبطا من مجرة بعيدة. هرولت إلى داخل البيت وأخبرت أمي وأبي بعودتي، فجاءا راكضين ووقفت أتأملهما بخوف وفضول. أمي بملابسها شبه البدوية، وأبي بلحيته البيضاء الطويلة. إنهما يختلفان كثيراً عن ذينك الشخصين اللذين تركتهما صباحا قبل أكثر من عشرين سنة.

لقد اختصرت تلك الثواني عقدين من الزمن، فكيف يمكن نقل هذه التفاصيل إلى ورق جامد لا يتسع للخيال؟ زوجة أخي، بعينيها الزرقاوين، ربحت خاتماً ذهبياً من أمي ثمن البشارة، كما اتفقتا على ذلك منذ خمس سنوات. خلال السنوات الثلاث التي قضيتها في العراق، بعد عودتي، ظلت لدي محاولات دؤوبة لإعادة الصلة بيني وبين العراق القديم الذي غادرته قبل حوالي خمس وعشرين سنة. كانت الفجوة كبيرة على ما يبدو، والتحولات التي عاشها البلد أثناء غيبتي هي من العمق بحيث أنها خلقت هوية أخرى للإنسان والمكان، وما يتبع ذلك من سلوكيات وأمزجة ووجهات نظر.

لم يعد العراق يشكل بنية ثقافية واحدة في الوقت الحاضر، فنتيجة للأوضاع القاسية التي مرت تحول إلى جزر ثقافية، بل يمكن القول إن المنظومات الثقافية لها اليوم علاقة بالمدينة، والدين، والطائفة، والمنطقة، وهذا التحول رهيب ويستحق دراسات معمقة، ومن أسباب ذلك التحول التأثير الهائل للحروب المتعاقبة التي مزقت نسيج المجتمع التقليدي وثقافته، إضافة إلى غياب المؤسسات المعروفة، وغياب الدولة، وغياب المنظومة الموحدة، أي الآلة الأمنية والإعلامية والثقافية والاقتصادية، كل ذلك أفضى إلى تمزق في الهوية الثقافية.

المواطن البسيط اليوم في الرمادي غيره في الموصل، وغيره في بغداد والبصرة والحلة والنجف. والفروقات بنيوية، وما يجري الآن يعمق من تلك الفروقات.

السنوات التي عشتها بعد عودتي كانت محاولة لمعرفة ما يجري، ولمراقبة الناس وتعابيرهم وألفاظهم وطريقة ردات فعلهم تجاه الحوادث اليومية. كما عشت البؤس ذاته الذي يعيشه المواطن البسيط من قطع كهرباء في جو حرارته خمسين درجة مئوية، ومن تلوث هوائي ومائي، ومن انعدام الأمل في الخروج ليلا إذا ما تعرض الطفل أو المرأة أو الشخص عموماً إلى حادث عارض يستدعي الذهاب إلى المستشفى. عشت رعب القتل على الهوية الطائفية والحزبية والسياسية، ورعب الإرهاب، وهو يتلذذ بقتل البشر، ولا يفرق بين مثقف وفلاح، طفل وشيخ، تقدمي أو سلفي. كل ذلك جعلني أنظر بزاوية واسعة إلى ما يجري في بلدي، زاوية تتفهم العنف والثأر والقتل والنفي والهجرات والقسوة في الشخصية العراقية، ومعنى الاحتلال، ووجود مئات الآلاف من العسكر ومرادفاتهم وهم فوق القانون والمحاسبة، ومعنى علاقة الثقافة بالمجتمع، وعلاقة السياسي بالثقافي، وكل تلك المصطلحات التي ينبغي لنا إعادة قراءتها، لأن الواقع يتحدث بلغة مختلفة عما تربينا عليه وألفناه.

في مهرجان نيروبي الثقافي: أنت كاتب حقاً فقط حين يكون لكَ قرّاء!

عادل العامل

كان هناك عند منصة في خيمة قرنفلية اللون لوح كبير يفخر بروائي فائز بجائزة بوكر، هو بين أوكري، و شاعر فائز بجائزة بوليتزر، يوسف كوميونايكا، و الملحق الثقافي الأميركي المحلي و مدير مهرجان ستوريموجا هاي Storymoja Hay الذي أقيم في العاصمة الكينية نيروبي في أيلول الماضي. غير أن الصوت الأكثر قوة جاء من جمهور الحاضرين. " إن لكينيا مشاكلها، لكن ذلك لا يعني أن الثقافة يجب أن تموت هنا "، كما قال فنان الكتب الهزلية الشاب نياموبا من نيروبي، " فالثقافة يمكن أن تكون الشيء الذي ينقذنا "، وفقا لما جاء في تقرير بنجامين سيتشر عن الحدث الثقافي.

فكون نيروبي بحاجة إلى الإنقاذ أمر باد للعيان من دون شك : فصور النّار و هي تلتهم أحد أحياء الفقراء مؤخراً كان لها دور المذكّر الفوتوغرافي بمدى الفقر الذي تظل أجزاء العاصمة مغمورة به. و لكن إبداعياً، كما يرى نياموبا، فإن نيروبي لم تكن أبداً أغنى، قائلاً " إنها مدينة رائعة "، بينما كان يحثني على إعطاء ظهري لأعالي المركز المهدمة و مواجهة العمارة الجريئة الجديدة القائمة على جانب تل يشرف على قرية خيام المهرجان، " إنها تشبه باريس في ثلاثينيات القرن الماضي "، كما قال.

لقد كان هناك بالتأكيد ما يشبه الصالون الأدبي في ما يتعلق بالجو السائد في هذا اليوم الأول من المهرجان – إن استطعتَ أن تغض الطرف عن حشود لقالق الماريبو الغريبة المكرمشة الأجنحة و هي تزدحم في الفضاء فوق الموقع، و هو ملعب رياضي قديم. و كان في إحدى الخيم الروائي البريطاني الشاب هاري كنزرو في ندوة تجمعه مع ٣٠ كاتب قصة قصيرة كيني مفعمين بالطموح. و كان أحدهم يعترف قائلاً " إن معظم القصص التي أكتبها قصص حزينة "، فيرد عليه كنزرو مبتسماً " و كذلك أنا ". و راح يستشهد بأشباح موباسان، و همنغوَي، و تشيخوف، و كارفر، و يصب الفاصوليا على أسرار العمل الغريبة لزملائه الكتّاب، مثل ديفيد ميتشل (الذي يكتب رسائل لنفسه من شخصياته)، و جوناثان سافران فوَر Foer(الذي حين تربكه الأفكار، يتحول إلى لعبة البنغ. بونغ). ثم قال لجمهوره " هناك أن يُنشر لك، و هناك أن يُدفع لك " ـ و هذان أمران مختلفان. و يجب أن يكون هدفك الأول هو النشر. و أنت كاتب حقاً فقط إذا كان لك قرّاء "، و كان بين أوكري يهز برأسه وسط الحاضرين موافقاً على ما يقول المتحدث. و كان الكاتب و الرسام النرويجي ستيان هول قد تحدث مبكراً في اليوم نفسه عن فن إبداع كتب الأطفال المصورة الصعب، و تأثير ثقافات الشعوب على طبيعة نهاية قصة الأطفال و أحداثها. فالبعض يريد نهاية سامية، و البعض يشعر بالحياء من أمور يعتبرها آخرون عادية. و قد طلب ناشر أميركي من هول ذات مرة أن يحذف من كتابه صورة فتى القصة الصغير و هو يتبول عند شجرة، و أن يضيف ثياباً أخرى لفتاة. و قد أزعجه ذلك و يشعر بالخجل لأنه وافق على تغيير صوره. بينما لم تصطدم الطبعة العربية لثلاثية غارمان هذه بأية عقبات من هذا النوع، كما قال.

■ عن / The Telegraph

من البرج العاجي

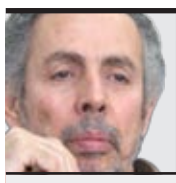

■ فوزي كريم
Fawzi Karim

ليلة لشعائر كارمينا

دعوة من صديق لكونسيرت في "قاعة المهرجان الملكية" في "الساوث بانك". الهدف هو الاستماع إلى عمل الألماني "كارل أورف"(١٨٩٥- ١٩٨٢) "كارمينا بورانا". سماع عمل كهذا يستدعي حماساً يليق بعنصري "الإيقاع" البدائي، و"اللحن" الشعائري. لأن عنصر "الميلودي"، وهو ثالث العناصر للموسيقى الكلاسيكية، يكاد يكون غائباً عن هذا العمل تماماً.

لم أطلع على منهاج الحفل. على أني سرعان ما اكتشفت بأن "كارمينا بورانا" تحتل القسم الثاني من الحفل. القسم الأول يحظى بعملين كورالين لقائد الأوركسترا، الذي وقف أمامنا محتفياً بعيد ميلاده الستين: رونالد كورب (مواليد١٩٥١).

بعد انتهاء الحفل تبين لي بأني خضت غمار أعمال لا تستقل فيها الموسيقى عن الشعر. كنت أحسب لذلك بعض الحساب مع "كارمينا بورانا". لأني أعرف قصائدها الرائعة الأربع والعشرين. وأعرف كيف عثر عليها كارل أورف في بيوت الرهبان في القرن الثالث عشر. وأني نشرت النصوص كاملة في واحدة من أعداد مجلتي "اللحظة الشعرية" (التي أوقفتها بفعل موجة الاحتقار الشعرية الكاسحة لموسيقى الشعر، في إيقاعها، ولحنها وميلوديتها!). ولكن قائد الأوركسترا "كورب" توّج عمليه بإكليل هذه العلاقة الملهمة. ففي عمله الأول "عابر السبيل"، الذي احتفى فيه بالموسيقي النمساوي "مالر" بمناسبة مرور مئة سنة على وفاته، انتخب من الأخير قصائد من عمل معروف له باسم "أغاني عابر سبيل"، وقد حاول انتزاعها من المسحة "المالرية" الحزينة، ويمنحها لمسة بهيجة. وفي عمله الثاني "وانطلقت كلُ الأبواق" وقف على أعتاب الحماقة التي ابتكرها الإنسان ضد نفسه، حماقة الحرب. انتخب قصائد من شعراء كانوا شهوداً عليها (ولت ويتمان) في الحرب الأهلية الأمريكية، أو ضحية لها (روبرت بروك، أدورد توماس، تشارلس سورلي، وألفريد أوين). هؤلاء كانوا من أروع الأصوات الشعرية الإنكليزية التي قُتلت شابة في أتون الحرب العالمية الأولى.

"كورب" قرَن أتونَ الحرب بيوم الدينونة. وجعل الأبواق شاهداً على هذا. أعطى ألحان القصائد لصوت الباريتون (طبقة الغناء الرجالية الوسطى)، في حين انتخب بضع آيات نذيرية من الكتاب المقدس، وأعطى ألحانها لصوت كورس الأطفال: "يوم اللعنة، الذي سيحيل العالم إلى رماد."

متابعةُ النص الشعري، مع الإصغاء للحن، مغذيةٌ لأكثر من مجس لدى الكائن. الأمر الذي افتقدته في النصف الأول من العزف. ولكني بعد أن حصلت على "المنهاج" في النصف الثاني، وراجعت النصوص، كنت أتوق لمعاودة اللحن الذي تدفق من قصيدة ولت ويتمان: "ساهراً في أرض المعركة ذات ليلة..". ولتأمل اللحن الذي تلبّس بيت "روبرت بروك": "انطلقي أيتها الأبواق فوق غنى الموتى!.... فالموت جعل منا هدايا أكثر ندرة من الذهب."

بقي الكورس الضخم في العملين على حاله مع "كارمينا بورانا". كورس حافل بلباس موزّع على ألوان براقة عديدة. الألوان ذاتها التي انتخبها "كارل أورف" في أول عرض للعمل عام ١٩٣٧.

"كارمينا بورانا"، في الأصل، مخطوطة لاتينية لأغان تعود إلى القرن الثالث عشر، تم العثور عليها في دير للرُهبان، يقع على سفوح جبال الألب البافارية. ثم حُققت، ونُشرت من قبل باحث ألماني يُدعى شميلر في عام ١٨٤٧.

القصائد قصيرة، تنطوي على جوهر أغنية. ومغنوها يؤدونها على آلة القيثارة. جُمعت من قصائد لشعراء من فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، وإنكلترا. إلى أن جاء كارل أورف ليضع موسيقاها بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦. بعد العرض الأول كتب "كارل أورف" لناشره الموسيقى : "لكَ أن تُتلف كل شيء كتبته لحد الآن، وقمت أنت للأسف بنشره. مع كارمينا بورانا تبدأ مجموعة أعمالي."

إن الجذر الشعائري، البدائي في العمل يوحي لنا بأن شيئاً ما غامضاً، وسريا، كامن فيه. لكن موسيقى أورف دفعت بهذا الجذر الغامض إلى ذائقة عصرنا، بفعل تدفق إيقاعها المتواصل (تأثراً بالروسي الطليعي سترافنسكي). وتوفير قدر من الاضطراب في الهارموني، وحركة النمو. ولكنها، رغم هذا الاضطراب، ذات ألحان سهلة البقاء في الذاكرة.

الرائع في هذا العمل أن الذائقة الأدبية في سماعه تجد كفايتها من المتعة هي الأخرى.

بدء الأسبوع الثقافي السرياني بعرض فولكلوري للازياء الشعبية

المدى الثقافي

عنكاوا

برعاية وزير الثقافة والشباب في حكومة إقليم كردستان الدكتور كاوه محمود ، انطلقت في الساعة السابعة من مساء يوم السبت ، فعاليات الاسبوع الثقافي السرياني الرابع، في نادي الشباب الاجتماعي بعنكاوا، بحضور جماهيري واسع وعدد من المسؤولين في حكومة وبرلمان الاقليم وممثلي عدد من القنصليات الأجنبية المعتمدة في أربيل وعدد من رؤساء الدوائر الحكومية في عنكاوا وممثلي الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني ومجموعة من وسائل الإعلام والقنوات الفضائية وجمهور غفير .

في مستهل الحفل ألقى وزير الثقافة والشباب كلمة بالمناسبة قال فيها: " أيها السيدات والسادة دون ألقاب ومواقع، فالثقافة والفن يجمعاننا جميعا وهما أولوية على كل الألقاب والمواقع"، مضيفا: " أنا سعيد أن أكون معكم هذه الليلة، في بدء الأسبوع الثقافي السرياني الذي تنظمه المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية.واضاف "ان مهمتنا هي الحفاظ على التنوع الثقافي في كردستان مابين الكردية والسريانية ليس في عنكاوا فحسب بل في كل المدن والقصبات التي يتواجد فيها أبناء شعبنا الكلداني الآشوري السرياني "

تلتها كلمة الدكتور سعدي المالح المدير العام للثقافة والفنون السريانية مرحباً بالحضور الكرام وقال فيها: " نريد دائما أن يكون تراث آبائنا وأجدادنا في الذاكرة وألاّ ننسى تراثنا أبدا، نحن في المديرية نسلط اهتمامنا على التراث لأنه هو من صلب عملنا "

وانطلقت فعاليات المهرجان بعرض للازياء الفلكلورية الشعبية السريانية من مختلف قرى ومناطق أبناء كردستان، يرافقها شرح مستفيض لكل زي والمنطقة التي ينتمي إليها، وشملت الأزياء القرى والبلدات،وتميز العرض بثلاثة أنواع من الأزياء العنكاوية للآنسات والسيدات وربات البيوت واختتمت بزي العروس والعريس، إذ دخلا محاطين بالأحباب وسط الهلاهل والزغاريد وعلى أنغام الطبل والزرنا. تشابكت بعدها الأيدي في دبكات شعبية على أنغام الموسيقى الفلكلورية والأغاني العنكاوية القديمة التي أداها كل من المطربين: فؤاد زمارا وهندرين مجيد وميلان، بمشاركة السادة الضيوف والجمهور الكريم، فيما جرت على هامش الاحتفال إقامة معرض للصور الفوتوغرافية القديمة لعنكاوا التي تعود لأكثر من خمسين سنة، وأقيمت العديد من الألعاب التراثية الشعبية، وبعد ذلك تقدم الجميع إلى البوفيه المفتوح الذي شمل مجموعة من الأكلات الشعبية

وستعرض ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي السرياني الرابع ثلاثة أفلام وثائقية على قاعة متحف التراث السرياني في عنكاوا وهي: (المسبحة) لفرقة شمشا و(الشهداء لا يتأخرون أبدا) لفرقة مسرح بغديدا (قرة قوش) و(لمن يقرع هذا الناقوس) للمديرية العامة للثقافة والفنون السريانية. انطلاق فعاليات الأسبوع الثقافي السرياني الرابع في عنكاوا.

ويشارك في الأسبوع الثقافي السرياني الرابع نحو ٣٠ جمعية وفرقة فنية ومركزا ثقافيا وأدبيا من أكثر من ٢٠ قرية وبلدة سريانية، ويربو عدد الأدباء والفنانين المشاركين فيه على نحو ٣٠٠ مشارك.

متابعة

القصب يتحدث عن تكنولوجيا المسرح في مهرجان أربيل

بشار عليوي

أربيل

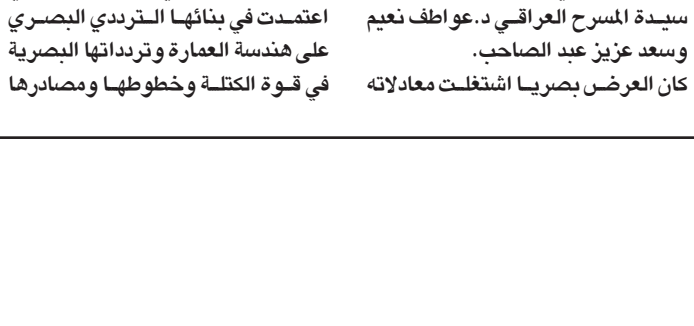

ضمن فعاليات مهرجان أربيل المسرحي الدولي الأول ، قدم المخرج المسرحي د. صلاح القصب محاضرة بعنوان (توظيف نظرية الكم الفيزيائية في اشتغالات المسرح) على قاعة " ميديا " بمدينة أربيل . بداية تحدث الناقد بشار عليوي الذي أدار الجلسة بقوله إن صلاح القصب ، منذ تجاربه المسرحية الأولى في مطلع الثمانينيات قد أثار جدلاً فكرياً ومعرفياً واسعاً بين أوساط المختصين والمثقفين وجمهرة المشاهدين لعروضه المسرحية، وذلك الجدل النشيط لا يحققه أي عرض مسرحي بالطبع ولن يحصده أي مخرج مسرحي أيضا .

ثم بدأ الفنان صلاح القصب حديثه بالقول : لقد كانت تجربتي في (ماكبث) مدخلاً للنظرية الكمية (فيزياء الرؤى) وهي المدخل لحركة الموجة والطاقة والترددات البصرية عبر اجتياز فراغات المسافات واشتغال معادلاتها من خلال فيزياء الكم لتكوين معادلات بصرية لقوة الحركة والاستدارة والتكوين في العرض المكبثي والذي تم تصميمه مع سيدة المسرح العراقي د.عواطف نعيم وسعد عزيز عبد الصاحب.

كان العرض بصريا اشتغلت معادلاته على حركة الموجه البصرية للمتلقي وتشفير ترددداتها اشتغلت فيها حاسة البصر في معادل كمي بصري لتأكيد رؤية، فكانت تجربة (ماكبث) أكثر مغايرة وأشد مباينة وهي المركب الأصعب إذ غادرت مناطق التكرار والدخول إلى الحقل المغاير فكانت اشد مباينة من التجارب الأخرى، وقد كان الدخول لهذه التجربة أعمق فيزيائيا من تجربة (عزلة في الكريستال) والتي اعتمدت في بنائها الترددي البصري على هندسة العمارة وترددداتها البصرية في قوة الكتلة وخطوطها ومصادرها كطاقة وتكوين ،فكانت هذه التجربة رهينة العبور بهذا الحقل الفيزيائي في الرؤية وقوة الموجه وترددداتها سواء من تلك المعادلات التي ترى في لمعان المظاهر حركة في اكتشاف المعادلات واشتغالاتها أو تلك الفراغات التحتانية والتي لها أعماق غير مرئية ولها قوة وجاذبية.

وفي ختام محاضرته تساءل القصب بقوله : هل ستحدث نَظرية الكم زلزالا في قارة المسرح ؟ وهل تستطيع نظرية الكم شفر حبات تولدية جديدة واكتشاف اشتغالاتها في القارة الفنية والأدبية ؟ وهل تستطيع نظرية الكم سحب قوة الطبقة إلى داخل المكون الفني والأدبي ؟ وهل التشيؤ يتساوى مع قوة الفراغ والموجه والتردد ؟ وهل الموجه معادل للعقل والفراغ معادل للحس والتردد ومعادل للحدس ؟ . وفي نهاية المحاضرة ، فتح باب الحوار والنقاش حيث شارك كُلّ من الفنانين د. عقيل مهدي يوسف الذي أكد على منجز " القصب " في المسرح العراقي ، والفنانة د. عواطف نعيم ، التي تحدثت عن تجربتها مع أعمال القصب ، فيما أثنى الفنان عزيز خيون خلال مداخلته ، على إدارة المهرجان التي احتفت بالمسرح العراقي من خلال محاضرة د. صلاح القصب.